المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

الدكتور جورج بوست

منذ اثنتين واربعين سنة اجتمع ثلاثة من الاطباء في دار صغيرة بمدينة بيروت اميركيّان وارمني تلمذ لاحدهما وهم الدكتور كربليوس ڤان ديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست . انتدبتهم لجنة المدرسة الكلية السورية الانجيلية لعمل جليل عمّ نفعهُ البلاد العربية بل البلاد العثمانية كلها وهو انشاء مدرسة طبية ضمن المدرسة الكلية

كان الدكتور ڤان ديك كهلاً قصير القامة نحيف الجسم خفيف اللحية وكان السوريون قد عرفوا منهُ عالمًا عاملاً نشر بينهم كتبًا عالية في الجغرافية والجبر والهندسة وكان يعرف العربية مثل اربابها و يتكلمها بلهجة صحيحة كاحد ابنائها واذا حدّثك استشهد بالاشعار والامثال وجوامع الكلم كأنهُ حفظ فن المحاضرة على اربابهِ

وكان الدكتور ورتبات كهلاً قصير القامة كث اللحية ليس بالنحيف ولا بالسمين ولم تكن لهُ مؤلفات عربية معروفة ولكن كان لهُ مؤلفات انكليزية . وكان يتكلم الانكليزية ويكتبها مثل البارعين من ابنائها اما العربية فكانت لغتهُ التي رضعها مع اللبن واخذ قواعدها عن علمائها

وكان الدكتور بوست شابًّا في مقتبل العمر متوسط القامة براق العينين اسود الشعر يتكلم العربية بلهجة طرابلسية فانهُ تعلمها في طرابلس الشام

اجتمع هؤلاء الثلاثة واقسموا العلوم الطبية كلها لقلة عدد التلامذة في السنين الأولى فاستقل الدكتور ڤان ديك بتعليم الكيمياء والباثولوجية والتشخيص الطبي والدكتور ورتبات بتعليم التشريح والفسيولوجيا والدكتور بوست بتعليم النبات والمواد الطبية والجراحة . وقرنوا كلهم التعليم النظري بالتعليم العملي في كل العلوم التي علموها اي انهم كانوا يفرضون على التلامذة العمل بما يعلمونهُ

اين هؤلاء الاساتذة الآن اركان المدرسة الطبية ومؤسسوها . ذهبوا في طريق كل حي

بعد ان طببوا وعلّموا وألّفوا وخدموا البلدان العربية اكبر خدمة تذكر في تاريخ ارتقائها العلمي

كان الدكتور بوست اصغرهم سنًّا واعلاهم همةً واكثرهم اشتغالاً لا يكلّ ولا يملّ . لازم التدريس والتطبيب والتأليف والبحث عن النباتات في كل الاقطار العربية الى ان انتهت السنة المدرسية الماضية فاستعفى من التدريس ومدّ يدهُ حين استعفائهِ وقال لاخوانهِ الاساتذة انظروا الى هذه اليد فقد قبضت على آلات الجراحة السنين الطوال ولم تكلّ ولا ضعفت ولا ارتجفت ومرادي ان اطرح هذه الآلات منها الآن بارادتي قبلما تضعف فاضطر ان القيها منها رغماً عني . وكأنّ ميكروب الامراض الذي بقي زماناً طويلاً ينفي وجودهُ ولم يسلّم بهِ الاّ بعد ان زالت كل شبهة فيهِ حمل عليهِ حينئذٍ اذ رآهُ اعزل فاردهُ

عرفناهُ في مدرسة عبيه الاميركية سنة ١٨٦٥ قبيل انشاء المدرسة الكلية وكان يدرس معنا الصرف والنحو في فرقة واحدة ويبحث ويدقق كابناء اللغة . وخطب وهو هناك خطبة علمية في الهضم شرح فيها هذا العمل الطبيعي اوضح شرح مبيّناً اعضاءهُ برسوم رسمها على لوح اسود بالطباشير الملوّن وكان هذا الطباشير شائعاً حينئذٍ ولم يكتفِ بذلك بل قبض على كلب وبذّجهُ واناتهُ ثم شقهُ وارانا وضع اعضاء الهضم فيهِ وشكلها . ثم لما أُنشئت المدرسة الطبية وانتدب لتدريس النبات والتشريح والمواد الطبية كما تقدم ألّف كتبهُ المشهورة في هذه العلوم الثلاثة باللغة العربية . وكانت طريقتهُ في التعليم مثل طريقة رصيفهِ الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات وهي قرن العلم بالعمل فكان على تلامذة النبات مثلاً ان يشرّحوا الازهار والاثمار ويجمعوا امثلة كثيرة من النباتات المختلفة ويحفظوها ويحفظوها ويعينوا انواعها وفصائلها . وعلى تلامذة المواد الطبية ان يقرنوا على تمييزها بصفاتها الظاهرة وخواصها الكيماوية . والعمل الاكبر كان في علم الجراحة فانهُ كان يفرض على تلامذتهِ عمل كل الاعمال الجراحية في المستشفى الذي كان تابعاً للمدرسة الكلية ولذلك امتاز تلامذة هذه المدرسة بانهم اشتغلوا بكل فروع الطب كأنهم اخصائيون في كل فرع منها فلا يتندب واحد منهم لعملية جراحية ويحجم منها مهما كانت كما لا يحجم عن معالجة اي مرض كان من الامراض الباطنة ومن امراض النساء والاطفال

ولا شبهة في ان الدكتور بوست بلغ غاية ما يطلب في التعليم الآن حيث قرن العلم بالعمل وبلغ ايضاً غاية اخرى وهي البحث في العلم والاكتشاف فيهِ لتوسيع نطاقهِ . وكان اكثر اشتغالهِ من هذا القبيل في البحث عن نباتات سورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ولهُ في ذلك كتاب كبير جليل حتى لو لم يكن لهُ غيرهُ ولو لم يشتغل بغير علم النبات لعدّ من العلماء الذين وسّموا

نطاق العلم بجمع المواد اللازمة لهُ . اما المشاق التي تجشمها في سبيل هذا العلم والاسفار التي سافرها والايام والسنين التي قضاها في جمع النباتات وتجفيفها وتبويبها فما يملأ شرحه مجلداً كبيراً

وكان لهُ في المدرسة الكلية معرض للمواد الطبية ومعرض للمستحضرات الجراحية وما استخرجهُ من الحصى والاورام والعظام وما اشبه ومعرض لامثلة الحيوانات والنباتات ومعرض اكبر من هذه كلها للنباتات التي جمعها هو وتلامذتهُ ورتبها وبوبها . وكان يقضي في هذا المعرض اكثر اوقات الفراغ وقلما كان يخرج منهُ قبل الساعة الحادية عشرة او الثانية عشرة ليلاً . اجتهاد علّم تلامذة المدرسة الكلية الاجتهاد وهمة عالية قلما رأى ابناء سورية مثلها

وكان من اكثر الاطباء والجراحين اشتغالاً بالطب والجراحة . كان يعالج المرضى ويعمل العمليات الجراحية في بيتهِ وفي المستشفى وبيوت المرضى في بيروت ولبنان وسائر المدن السورية حتى كنا نعجب كيف يجد وقتاً للاكل والنوم والتدريس

واهتمّ بغير ذلك من الاشغال العلمية فجمع فهرساً للكتاب المقدس بمساعدة بعض التلامذة ووضع قاموساً تفسيرياً للكتاب المقدس وانشأ مجلة الطبيب بالاشتراك مع الدكتور لويس ثم استقلّ بها ثم عهد بتحريرها لغيره

وبنى بيتاً جميلاً في بيروت قرب المدرسة الكلية وانشأ حولهُ حديقة غناء جمع فيها انواعاً شتى من الاشجار والانجم والازهار والرياحين . وبيتاً آخر في عاليه يشرف على وادٍ عميق وغرس حولهُ كثيراً من الاشجار الجبلية واخيراً اهتمّ بانشاء بناء كبير في المدرسة الكلية جعلهُ درساً للمعارض العلمية وهو من اجمل ابنية المدرسة واوسعها وكان مع ذلك كلهِ يجد وقتاً للخطب العلمية والمواعظ الدينية ولمسامرة الاصدقاء

وقد عيب عليهِ حرصهُ الشديد او تدقيقهُ في تقاضي اجرة عمله . وقد كان كذلك عن طبع لا عن جشع فانهُ كان مع هذا الحرص كريماً اذا رأى داعياً للكرم . نُدبنا مرة لجمع مبلغ من المال لجمعية خيرية فقصدناهُ ونحن نتقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ولما اخبرناهُ بغرضنا اعطانا اكثر مما اعطانا غيرهُ من المشهورين بكرمهم ولم يشأ ان يذكر اسمهُ بل قال قولوا من صديق . واختلف مرة مع صديق لهُ على عشر بارات ثم استدعاهُ ذلك الصديق لتجبير يد حماتهِ فجبرها وعادها مراراً كثيرة الى ان شفيت ولم يشأ ان يأخذ اجرة

توفي الى رحمة ربهِ في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس زوجتهِ واولادهِ وتلامذتهِ وكل الذين انتفعوا بعلومهِ وكتبهِ واستفادوا من الاقتداء بهِ في همتهِ واجتهادهِ